الحلقة الأولى

الصيام مائدة الروح

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فمائدة الطعام المادي الذي نتناولـه بأفواهنا ، حين تتعدد أطعمتها وتتنوع أصنافها ، وتحمل كثيرا من مختلف الألوان ، فإنها - والحال هذه - تجذب الإنسان إليها ، وتشده إلى ما عليها ، وتدفعه إلى الأكل منها بقابلية شديدة وشوق كبير ، ثم إن تعدد الأطعمة وتنوع الأصناف يؤدي إلى تعدد العناصر اللازمة للجسم ، وبالتالي يكون لهذا أثر كبير في حيوية البدن وصحته ، ومن هنا تكون مثل هذه المائدة ، ذات فائدة عظيمة ، واثر بارز في إمداد الجسم بكل ما يحتاج إليه من مواد غذائية ، وعناصر ضرورية ، تقيه من الأمراض ، وتبعد عنه خطرها ، والسبب في هذه الوقاية ، هو ذلك الغذاء المتنوع الكامل ، الذي قوّي جهاز المناعة، فإذا جاء مرض من الأمراض ليغزو الجسم ، وينقضّ عليه ليفترسه ، كان هذا الجهاز له بالمرصاد ، وصوب إليه أسلحته وقضي عليه ، وإذاً فمائدة الطعام ذات الأنواع المختلفة من المواد الغذائية ، لها أحسن الأثر وأعظم الفائدة بالنسبة للبدن ، ونحن إذا نظرنا إلى مائدة العبادة ، مائدة الروح ، نجدها ذات ألوان متعددة ، وقد أراد ربنا - جلَّ شأنه - أن تكون بهذه الصورة ليصقل الروح الإنسانية بشتي العبادات ، ويهذب النفس بوسائل كثيرة ، ويرقق المشاعر بطرق مختلفة ، ويصفي القلب من الشوائب ، بمختلف الأنواع ، ويسمو بالإنسان إلى أفضل منزلة له بما فرضه عليه من عبادات متنوعة ، وبيان ذلك أن الله تعالي لم يفرض علي المؤمن نوعا واحدا من العبادات ، وإنما نوّع ما فرض ، وكلفّه بأمور متعددة الأصناف ، حيث جعل منها ما يتمثل في القول باللسان ، وذلك

كدعاء المؤمن ربه ، وذكر خالقه ، ودعوة الغير إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجاهل ما يحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ، وإرشاد الضال إلى الصواب ، وما إلى ذلك من أنواع أخرى تدور في هذه الدائرة ، إنّ هذا لون من ألوان العبادة وهو قول ، واللسان أداة هذا القول ، وهناك لون آخر من ألوان العبادة ، وهو يتمثل في الفعل ، وهذا الفعل إما بدني كالصلاة ، وإما مالي كالزكاة ، وإما أن يكون مشتركا بين ذا وذاك ، جامعا للونين معا ، كالحج إلى بيت الله الحرام ، والجهاد في سبيل الله ، ومن ألوان العبادة أيضا ، لون ليس قولا ولا فعلا ، ولكنه كف وامتناع ـ ويتمثل هذا اللون في عبادة الصيام، الذي هو امتناع عن تناول الطعام والشراب ومباشرة النساء ، من قبيل الفجر حتى غروب الشمس طيلة أيام شهر رمضان المبارك ، وهذا الامتناع والكف ، يبدو سلبيا في مظهره لكنه إيجابي في مخبره وحقيقته وروحه ، لأنه كف للنفس، وإلجام لها ، وتحكم فيها ، وحيلولة بينها وبين ما تشتهي ، وتقييد لها عما ترغب فيه ، وهذا الكف والإلجام والحيلولة والتقييد ، كل ذلك بنيّة القربة إلى الله تعالي ، فهو بهذا المعني الكبير عمل نفسي إرادي ، له ثقله وقيمته في ميزان الحق والخير والقبول من الله ، وله أثره العظيم في الدنيا وفي الآخرة ، والدين ما هو إلا فعل وترك ، فعل لما أمر به الله وأوجبه ، وتحصيل للمأمور به إيجابا أو استحبابا ، وترك لما نهي الله عنه ، وابتعاد عن المنهي عنه تحريما أو كراهية ، والفضائل ما هي إلا فعل بما ينبغي تحصيله ، واتصاف بما فيه خير ، وبالتالي ترك لما ينبغي أن يكون متروكا ، وبعد عما فيه خطأ وعيب ، والصيام الذي هو عمل إيجابي بنية القربة إلى الله ، هو عبادة ضاربة فى أعماق التاريخ ، قديمة قدم الزمان ، معروفة لدي غيرنا من الأمم السابقة ، غير أن الكيفية لدي غير المسلمين ، حدث فيها تحريف وتبديل ؛ تحريف في الزمن ، وتحريف في الطريقة والأداء ، وقد تحدث القرآن الكريم عن قدم عبادة الصيام ، وبين أنها لم تفرض علي الأمة الإسلامية فحسب ، وإنما كانت مفروضة علي السابقين من الأمم الأخرى ، وفي هذا الشأن جاء في القرآن الكريم قول الله تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) فهذا نص

صريح واضح ، يبين اشتراك غيرنا ممن سبقونا في القيام بأداء عبادة الصيام ، تنفيذا لأمر الله ، وامتثالا لما كلفوا به من قبل الله - عز وجل - وبما أن الصيام مصحوب بالمشقة والتعب ونظرا لما فيه من حرمان من الطيبات من الرزق ، ولما فيه من مجاهدة وجلد ، ولما يترتب عليه من معاناة وشدة ، بما انه يكون كذلك ، فإن رب العزة - جل شأنه - لم يفرضه علي الأمة الإسلامية وحدها ، وإنما جعله عبادة مشتركة بين خلقه ، حتى تكون هناك مساواة بين عباده فيما كلفهم به وألزمهم بأدائه ، وحتى تكون النفوس مستريحة لأداء هذه العبادة الشاقة في ظل تلك المساواة ، وليكون هناك إقبال من جانب الخلق علي تلك الطاعة ، وتحمل لما يترتب عليها من آثار مرهقة ، عندما يعرفون أن الله - تبارك وتعالي - لم يكلفهم وحدهم بهذه الفريضة ، وربنا الذي يعلم ما تنطوي عليه نفوس خلقه ، وما تختزنه قلوبهم من خبايا ، هو سبحانه يعلم كل شيء عنهم ، وهو يعلم أنهم لو وجدوا أنفسهم مكلفين دون سواهم ، فإنهم لن يكونوا مستريحين ، وسيجدون في ذلك غضاضة عليهم ، وإذا أدوا هذه العبادة ، فسيكون أداؤهم لها أداءً خاليا من روح الرضا ، مشوبا بالاهتزاز وعدم القابلية ، لمّا كان يعلم ربنا ما تنطوي عليه نفوس عباده ، فإنه - سبحانه وتعالي - راعي هذا الجانب النفسي حين تكليفهم ، ولذا قال في كتابه الكريم :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) وإذاً فالصيام ليس خاصا بالأمة المحمدية ، وليست تلك العبادة مقصورة علي المسلمين وحدهم ، وإنما هي عبادة مشتركة بين خلق الله ، وقد كلف - جلَّ شأنه - السابقين واللاحقين بهذه العبادة ، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي العدل الرباني ، والرحمة الإلهية ، والمساواة بين الخلق ، وربنا الموصوف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص لابد أن يكون عادلا بين خلقه ، وأن تستهدف عبادته المساواة بين العابدين.

أيها الإخوة والأخوات : إن الصيام سر بين العبد وبين الرب ، وهو أعظم معوان للصائم علي قمع الشهوة الجامحة ، وكسر حدة النفس الأمارة بالسوء ، والغرائز غير السوّية ، وهو خير مرب

للإنسانية ، وموجة لها إلى طريق الخير ، فعلينا أن نستفيد من تلك العبادة ، وأن نصونها من الأدناس ، ونبعدها عما يشوهها، لتكون مقبولة لدي الله ، ونحظى بالثواب الكبير ممن يملك ذلك وهو الله ..

إن مائدة رمضان عليها أعظم زاد للأرواح ، وأفضل قوت القلوب ، وأقوي غذاء للنفوس ، فلنقبل علي تلك المائدة بجد ونشاط ، لنغذي أرواحنا وقلوبنا ، وليكن اهتمامنا بمائدة رمضان أشد من اهتمامنا بمائدة الأجسام ، وإنا لنسأل ربنا - عز وجل - ، أن يصون صومنا من كل دنس ، ويوفقنا إلى أدائه علي الوجه الأكمل الذي يرضي عنه ، ويثيب عليه بالأجر الجزيل - اللهم أمين